محاضرة الأب كرم رزق

أُلقيت بتاريخ 2009/03/27 الساعة الرابعة

في طرابلس خلال المؤتمر

طرابلس من خلال كتابات الرحالة

بين **القرنين السادس عشر والسابع عشر**

سلام على اطرابلوس ومن با   سلام محِب عز عنها اصطباره

يقضي لياليهِ بنوحٍ وأدمع   ويمضي كما يمضي الليالي اره[1]

حضرة العمداء والأساتذة،

حضرة السيدات والسادة،

حضرة الطلاّب،

أتقدم بخالص الشكر لمنظّمي هذا المؤتمر لتفضلهم بدعوتي للمشاركة فيه، وأتمنى لهم التوفيق، وللمؤتمر النجاح. اما مداخلتي فتقتصر على كتابات الرحالة عن طرابلس بين القرنين السادس عشر والسابع عشر.

تشكّل كتابة الرحلة نوعاً أدبياً خاصاً، رافق الإنسان منذ أن بدأ يتنقّل من مكان إلى آخر سعياً وراء الرزق، أو طلباً للإجتماع، أو حباً بالإطلاع والإكتشاف. يعبر هذا النوع عن أحاسيس صاحبه وأفكاره وتأملاته ورؤاه...

---

[1] النابلسي عبد الغني بن اسماعيل؛ العطيفي رمضان بن موسى، **رحلتان الى لبنان**، تحقيق صلاح الدين المنجد و اسطفان فيلد، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت، 21، بيروت، 1979، "رحلة الى طرابلس الشام"، ص. 19.

وهو يروي الإختبارات والمشاهدات التي عاشها الرحالة على شكل مذكّرات. وقد إرتبط بالحج إلى الأماكن المقدسة لدى أصحاب الديانات السماوية.

يخضع أيضاً هذا النوع من المصادر للنقد التاريخي. فالرحالة الغربيون إعتادوا أن يأتوا إلى بلاد الشرق بأفكارهم المسبقة وتحفّظا م، وغالباً ما كانوا يكررون كتابات بعضهم البعض.

إشتهر العرب أيضاً بذا النوع الأدبي. فلمع منهم ناصر خسرو، الإدريسي، وإبن جبير، وياقوت الحموي، وأبو الفداء، وإبن بطوطة. وخص بعض هؤلاء لبنان بصفحات هي بمثابة لوحات تذكارية دونوا فيها مشاهدا م، وتأثيرا م. ونالت طرابلس حظّاً وافراً. وربما شكّلت شهادة إبن بطّوطة عن طرابلس أهم أثر لدى الرحالة العرب عن المدينة، وهذا نصها:[2]

"ثمّ وصلت إلى مدينة طرابلس، وهي إحدى قواعد الشام وبلدا ا الضخام، تخترقها الأ ار وتحفّها البساتين والأشجار، ويكتنفها البحر بمرافقه العميقة والبر بخيراته المقيمة. ولها الأسواق العجيبة والمسارح الخصيبة، والبحر على ميلين منها، وهي حديثة البناء. وأما طرابلس القديمة فكانت على ضفّة البحر، وتملّكها الروم زماناً. فلما إسترجعها الملك الظافر خربت وإتخذت هذه الحديثة. وبذه المدينة نحو من أربعين من أمراء الأتراك. وأميرها طيلان الحاجب المعروف بملك الأمراء، ومسكنه منه بالدار المعروفة بدار السعادة. ومن عوائده أن يركب في كلّ يوم إثنين وخميس، ويركب معه الأمراء والعساكر، ويخرج إلى ظاهر المدينة. فإذا عاد إليها وقارب الوصول إلى م له، ترجلّ الأمراء ونزلوا عن دوابهم ومشوا بين يديه حتى يدخل م له وينصرفون. وتضرب الطبلخانة عند دار كلّ أمير منهم بعد صلاة المغرب من كلّ يوم، وتوقد المشاعل".

ويذكر أسماء أعلام طرابلس، منهم ثلاثة أخوة مشهورون بالإدارة العامة:

"ومن كان با من الأعلام كاتب السر باء الدين أبي غانم أحد الفضلاء الحسباء معروف بالسخاء والكرم، وأخوه حسام الدين هو شيخ القدس الشريف، وقد ذكرناه، وأخوهما علاء الدين كاتب السر بدمشق. ومنهم وكيل بيت المال قُوام الدين بن مكين من أكابر الرجال، ومنهم قاضي قضا ا شمس الدين بن النقيب من أعلام علماء الشام".

ولربما هيأت هذه الشهادة في هيكليتها ومضمو ا لما أورده العطيفي في رحلته، كما سنرى لاحقاً.

---

[2] **رحلة ابن بطّوطة**، دار صادر ودار بيروت، 1964، ص. 64-65.

ولقد تكثّفت الرحلات مع مطلع العصور الحديثة، عصور الإكتشافات والتفتيش عن المواد الأولية والأسواق التجارية. وهكذا سلك الطريق السائح والعالم والتاجر والمهاجر. ولقد إتسعت الدرب لجميع السائرين عليها، ولو تنوعت أجناسهم وثقافا م وأهدافهم.

تسنى للأب إغناطيوس سعاده، مدير مجلّة **المنارة**، أن يجمع كماً وافراً من هذه النصوص التي تتعلّق بمختلف مناطق لبنان، فعربا وضمنها كتاباً صدر حديثاً[3]. وبنشره هذا المؤلّف يكون قد أدى خدمة للقراء والباحثين.

ولعل من أقدم الآثار التي تتكلّم عن طرابلس في سياق الكلام عن لبنان، ما يرد في الكتاب المقدس العهد القديم، سفر المكابيين الثاني، الفصل الرابع عشر، الآية الأولى[4].

فأية صورة كون هؤلاء الرحالة عن هذه المدينة الفيحاء؟

ترتكز هذه الدراسة على أكثر من عشرين رحلة، توجه أصحابا إلى الشرق، وهم من مختلف البلدان واللغات والمقامات والمهن، كما تبينه البيبليوغرافيا في ا اية الدراسة.

ولمنهجة روايات الرحالة، وضعت تصنيفاً يتيح المقارنة، ويتضمن العناوين التالية: وجهة الرحلة، موقع المدينة، المرفأ، حركة التبادل، تجارة وزراعة، السكّان، المباني.

ولكني سأتوقّف عند ثلاثة منهم، هم دنديني، ودارفيو ورمضان بن موسى العطيفي.

أولاً: رحلة دنديني

تشكل هذه الرحلة مصدراً مهماً لمعرفة أحوال الأمبراطورية العثمانية[5] في ا اية القرن السادس عشر، وكذلك عوائد وتقاليد رعاياها، لا سيما في لبنان. ولكننا نكتفي هنا بما يخص طرابلس.

---

[3] الأب إغناطيوس سعاده، م.ل، **لبنان** في **كتابات الرحالة، دروس ونصوص**، منشورات الرسل، 2008.

[4] **سفر المكابيين الثاني**، الفصل الرابع عشر، الآية الأولى: "وبعد مدة ثلاثِ سنوات، بلَغَ أصحاب يهوذا أن ديميتريوس بن سلُوقُس قد نزلَ في مرفإِ طَرابلُس بجيشٍ جرارٍ وأسطول، واستولى على البلاد وقتلَ انطِيوخس ولِيسياس وصِيه".

[5] **رحلة الأب إيرونيموس دنديني** إلى **لبنان سنة 1596**، عربا يوسف يزبك العمشيتي، مطبعة جريدة العلم، بيت شباب؛ DANDINI Jérôme (P.), *Voyage du Mont-Liban*, traduit de l'italien par P. Richard Simon et suivi des remarques, édition revue et augmentée par P. Karam Rizk, *Sources de l'Histoire du Liban et du Proche-Orient* 2, Kaslik, Liban, 2005 ; et la recension d'Aurélien Girard, « Voyage du Mont Liban », *Archives de sciences sociales des religions*, 142 (2008) - Varia, [En ligne], mis en ligne le 25 novembre 2008. URL : http://assr.revues.org/index15123.html.

جاء الراهب اليسوعي دنديني إلى الشرق سنة 1596، بصفة قاصد رسولي للبابا كليمنت الثامن، ليتحرى عن عقائد الكنيسة المارونية وأنظمتها، نظراً للشكاوي والوشايات التي بلغت إلى روما "حتى نسب البعض إليها التلطّخ بوصمة البدع والأضاليل"[6]. وكذلك ليرتب شؤون الطلاّب الذين يؤمون المدرسة المارونية، إن لجهة إختيارهم، أو لجهة بحث المهام التي ستسند إليهم لدى عود م وإستقرارهم في نطاق البطريركية المارونية.

وصل دنديني إلى لبنان عن طريق ميناء طرابلس في الخامس والعشرين من آب 1596.

وغادر أيضاً عن نفس الطريق في اية السنة عينها، بعد أن إحتفل في المدينة بعيد الميلاد مع الجالية الأجنبية، لاسيما الإيطاليين منهم.

وهكذا يكون دنديني قد كرس ثلاثة فصول لطرابلس من رحلته الرائعة، وهي تباعاً التاسع، والسادس والسابع والثلاثون. فالفصل التاسع هو الأكمل والأجمل[7].

كيف بدت طرابلس لدنديني؟

1. إنها بوابة لبنان، منها دخل إليه قادماً من البندقية عبر خطّ بحري مرسوم المعالم، ومنها خرج عائداً الى روما سالكاً نفس الطريق البحري.

2. المرفأ والتجارة

تحرس المرفأ خمس أبراج، وهو عامر، تؤمه القوافل: 60 جملاً،... غني بالصادرات وبالتجارة. ومن أهم الصادرات المواد التالية: حرير، رماد، قطن مغزول، عنب، صابون، شموع. تتم هذه التجارة مع البندقية، ثمّ مع كامل أوروبا.

3. الزراعة

عاين دنديني الحقول المزروعة في جوار طرابلس، وأحصى أنواع الأشجار المثمرة التي تنبت فيها، مثل التوت والليمون وغيرها، فكتب:

> "متعت النظر في حقول خضراء بمثابة بستان كبير وفسيح تملأه أشجار التوت والليمون التي تبث رائحة عطرة، دون أن أتكلّم عن أشجار مثمرة أخرى مألوفة (communs) أكثر مما عندنا من الدردار، والصفصاف، والسنديان والجوز".

---

[6] **رحلة الأب إيرونيموس دنديني إلى لبنان سنة 1596**، عربا يوسف يزبك العمشيتي، ص 9.

[7] راجع طبعة الأب كرم رزق، لأنّ ترجمة الخوري العمشيتي غير دقيقة، DANDINI Jérôme (P.), *Voyage du Mont-Liban*, traduit de l'italien par P. Richard Simon et suivi des remarques, édition revue et augmentée par P. Karam Rizk, *Sources de l'Histoire du Liban et du Proche-Orient* 2, Kaslik, Liban, 2005.

يؤكّد دنديني على ظاهرة البحبوحة في المدينة، وعلى طابعها التجاري.[8]

4. موقع طرابلس: تقع على أسفل الجبل، مقابل البحر، تعلوها على صخرة قلعة تشرف عليها.

5. السكّان

لاحظ دنديني الطابع المختلط لسكّان المدينة. يشكّل الأتراك العدد الأكبر منهم. ويسكنها أيضاً عدد من الروم (Grecs)، والموارنة. الأولون يقطنون بيو ا داخل المدينة. والآخرون خارجاً عنها في قرية تعلوها، ربما في حارة الحصارنة بحسب الدويهي.

ويسكنها أيضاً يهود من أصل إسباني وبرتغالي. "ومن عاد م في تجار م ومعاملتهم خداع المسيحيين والإحتيال عليهم، ولاسيما التجار الإيطاليين الذين قلّ عددهم في هذه الأسكلة بعد أن غادر أهل البندقية هذه الشواطىء إلى إسكندرونة"[9]. تتفق معظم نصوص الرحالة على صورة الإحتراز من التجار اليهود في بعض المرافىء. وكان دنديني قد توجس خيفة من بعضهم وهو في مرفأ البندقية.

نزل دنديني في المدينة ضيفاً كريماً على أحد التجار البنادقة الميسورين. وإعتنى برفيقه المريض في نفس البيت. وعاد إلى المرفأ حيث الكمرك ليستخلص البضائع التي جلبها معه من إيطاليا، وهي كناية عن عدة صناديق تحتوي على أدوات كنسية، كبدلات للتقديس، وكؤوس وقوالب لخبز البرشان، وكتب القداس والصلوات، وثوب ثمين من البروكار للبطريرك. إستحصل الزائر على كامل أغراضه دون صعوبة تذكر، مما يدلّ على إنتظام حركة المرفأ، وعمل الجمارك.

6. المباني

لا يتكلّم دنديني عن المباني ودور العبادة والبيوت، بل يذكر فقط كنيسة صغيرة تخص الجالية الإيطالية. ولكنه يستفيض عن وصف العمائم وفروقا ا بين المسلمين والمسيحيين واليهود. هذا وقد صعد إلى سطح بيت مضيفه لإستنشاق الهواء وإستكشاف المدينة. وشاهد على السطوح القريبة نساءً يهوديات يت ّهن. فأدرك عندئذٍ ما ذكره الكتاب المقدس عن داود الملك وما كان من أمره مع بتشابع... وهو أكد أنه شاهد أموراً خاصة أي ميزات أخرى، ولم يرد أن يفصح عنها.

تعطي رواية دنديني عن المدينة صورة مشرقة. يسكنها عدة أقوام يعيشون فيها بإلفة وإطمئنان، ما عدا بعض التجار اليهود. بقيت التجارة أيضاً مزدهرة في المدينة بالرغم من نزوح بعض البنادقة إلى إسكندرون. وكان قد تبعهم التجار الفرنسيون. وهكذا تشير هذه المعلومات إلى بعض المشاكل في مرفأ المدينة، وخصوصاً الى المنافسة بين المرافىء، ولا سيما مع الإسكندرون.

---

[8] DANDINI Jérôme (P.), *Voyage du Mont-Liban*, « Cette ville abonde en beaucoup de choses, et est assez marchande », p. 32.

[9] **رحلة الأب إيرونيموس دنديني إلى لبنان سنة 1596**، عربا يوسف يزبك العمشيتي، ص 26.

ثانياً: رحلة دارفيو

كان دارفيو أحد المستشرقين الذين اتقنوا اللغة العربية والتركية. وقد استعان به البلاط الملكي في فرنسا لهذه الغاية، قبل أن يتعين قنصلاً لبلاده في حلب. وترك أيضاً مذكّرات مهمة عن البلدان التي زارها في نطاق الأمبراطورية العثمانية.

وهكذا، بعد ما يزيد على مضي الستين سنة، زار لوران دارفيو (Laurent d'Arvieux) طرابلس، وترك عنها في مذكّراته حوالي خمس صفحات. ماذا جاء فيها؟

قدم دارفيو إلى طرابلس من بيروت. مكث فيها حوالي 15 يوماً في ضيافة القنصل الفرنسي مركو (Marco)، وعبر عن فرحه مدة إقامته في المدينة.

1. الموقع

يعيد القنصل دارفيو أصل المدينة إلى اليونانية. وهي تقع في قعر الوادي، يحيط بها جبلان شاهقان. تخرج من إحداها ينابيع كثيرة تسقي المزروعات التي تغطّيها، وتجعلها غاية في الجمال. إنّ حجم المدينة صغير[10]. وتحميها أسوار فيها أبراج.

2. المرفأ

كان من أعظم المرافىء قديماً. ولكنه أهمل. فالبواخر الكبيرة تنتظر حمولتها بعيداً. يحمي المرفأ ستة أبراج. وفيه مخازن ومستودعات للبضائع التي تنتظر تصديرها.

وفي المرفأ جامع، وكنيسة صغيرة، ومركز للكمرك، حيث تدفع الضرائب على كلّ البضائع التي تدخل أو تخرج.

3. التجارة

إنّ التجارة لمزدهرة في المدينة، وهي نزيهة.

تؤمها منتوجات مصر بكميات كبيرة، وكذلك البضائع من البلدان البعيدة.

إنّ أهم سلعة هي الحرير، فهو متين، ومحبوك، لذلك يستعمل في أعمال التذهيب والفضة.

وتصدر أيضاً كميات كبيرة من الرماد إلى مارساي والبندقية لصناعة الخزف. وأيضاً الصابون، العنب المجفّف، السجاد، الأقمشة المحلية من حرير وصوف وقطن.

هذه البضائع تجذب التجار الفرنسيين، والإنكليز، والهولنديين والبندقيين.

---

[10] D'ARVIEUX Laurent, *Mémoires*, Introduction de Antoine Abdelnour, Beyrouth, 1981, « La ville d'une grandeur médiocre », p. 166.

وكان الفرنسيون نقلوا تجارتهم إلى حلب، ومعها القنصلية بسبب تجاوزات بعض الولاة، ولكنهم عادوا إليها بعد تدخل الصدر الأعظم. ولهم فيها نيابة قنصلية.

4. الزراعة

تحيط بالمدينة العديد من البساتين حيث يغرس التوت الأبيض لإطعام دود الحرير، وشجر المشمش، والبرتقال، والحامض، والتين، والرمان، والكرمة، وكل أنواع الزهور.

إنّ التربة لخصبة جداً، وهي مروية بالسواقي التي تتدفّق من الجبال المحيطة بالمدينة، وتحولها إلى فردوس أرضي.

وأهم وسيلة للري والشرب هو النهر الذي ينبع من أسفل جبل الأرز.

5. السكّان

إنّ سكّان طرابلس أناس نزهاء كفاية، يحبون النظافة، ولهم هوى سكّان المدن. الأغلبية منهم من الأتراك، وعدد كبير من المسيحيين، قليل من المغاربة، وأقلّ من ذلك طائفة من اليهود. وهؤلاء يمكثون في المدن حيث تجذبهم التجارة، ولكنهم غير محبوبين.

يمتلك الروم عدة كنائس، ولهم كتدرائية، وأسقف مقيم، ولفيف من الكهنة.

الرهبان الكبوشيون يمتلكون ديراً، وكنيسة، وبستاناً جميلاً. يحترمهم الأهالي، ويحسنون إليهم. وللكرمل الحفاة بيت يلجأون إليه عندما يأتون من جبل الكرمل.

6. المباني

البيوت جميلة ومريحة ومتينة. ومعظمها لها أسبلة ونوافير وبساتين وسطوح.

وفيها مساجد جميلة.

وحمامات عامة رائعة.

وأسواق مقببة بحجارة مقصوبة. وخانات تشابه ما في صيدا، ولكنها أكبر، وأجمل، وأنظف، وأحسن إضاءة.

وخان الفرنج فيه خزان وسبيل ماء يتدفّق دائماً.

أما بيت قنصل فرنسا فهو كبير وجميل، فيه كنيسة صغيرة، وغرف، وشقق، ومكاتب، ومخازن، وكل ما يجعل البيت مريحاً.

تشرف القلعة التي شيدها غودفرا دي بويون على المدينة، وهي مربعة تحميها أبراج وأسوار عريضة. تسيطر عليها الجبال، ولكنها قد فقدت من منعتها.

وتقوم الكلّية المولاوية على بعد نصف ربع فرسخ من المدينة، على سفح الجبل حيث يمر النهر، وهو يدعوها "بدير الدراويش"[11].

يلتقي دنديني ودارفيو في روايتهم عن طرابلس،

وكلّ منهما له صفة دبلوماسية، الأول يمثّل الكرسي الرسولي في روما، والآخر البلاط الملكي في فرنسا. وأهم نقاط الإلتقاء:

1. إنّ طرابلس مدينة مختلطة يسكنها المسلمون بأغلبية ساحقة، ويتبعهم الروم، واليهود، والتجار الأجانب من مختلف الجنسيات، وتسود بينهم الإلفة والمعاطاة الحسنة.

2. إن أحوال الأهالي المادية على يسر بسبب إزدهار التبادل التجاري، ووفرة الإنتاج الزراعي. ويظهر مستوى المعيشة المرموق في بناء البيوت الجميلة، وخصوصاً في أطباع الناس الهادئة.

ويتفق تماماً ما رواه دارفيو مع ما كتبه يوحنا مبارك، وهو أحد تلامذة المدرسة المارونية، الذي لم يكمل دروسه في المدرسة المارونية في روما، ولا تدرجه إلى الرتبة الكهنوتية، وهو يقول بعد زيارته للمدينة[12]:

> "تبعد طرابلس عن البحر ميلاً واحداً أو أكثر بقليل. في مينائها مدينة صغيرة يقطن فيها مسلمون وروم وموارنة، وفيها محلات تجارية لكل أنواع الملبوسات، وعلى شاطئها سبعة أبراج ... وبدخول المدينة، تشاهد قصور جميلة تنساب فيها سبل المياه وتوزع خاصة على مقام قنصل الفلامنكيين وعلى وسط القاعة والمطبخ وغرف النوم. وهذا المقام من أجمل ما يشاهد في المدينة التي يسكنها مسلمون وعبرانيون وأرمن وموارنة. وفيها فندق كبير للتجار الفرنسيين، كما فيها رهبان مار فرنسيس وكبوشيون وكرمليون حفاة". "والمدينة مقسمة داخلياً بشكل جيد بحسب أنواع التجارات: فلكل واحد منهم محلّه، كالخياطين، وصانعي الأحذية، وباعة الحرير ومتجرهم يشبه الكنيسة، ويباع فيها أيضاً filati, ceneri والدجاج والخيطان والعنب الدمشقي الذي يأتون به من بعلبك".

[11] D'ARVIEUX Laurent, *Mémoires*, « Il y a un beau et grand monastère de derviches », p. 169.

[12] راجع الأب إغناطيوس سعاده، م.ل، **لبنان** في **كتابات الرحالة، دروس ونصوص**، منشورات الرسل، 2008 ، ص 207.

ثالثاً: رحلة العطيفي

زار العطيفي لبنان سنة 1043هـ = 1633م، فسلك طريق دمشق، بعلبك، إهدن، طرابلس[13]، ومن ثم غادرها الى حلب.

تقع طرابلس قرب البحر، بيد أنّ البساتين تفصل فيما بينهما. وإسمها يدلّ على ثلاث مدن بحسب الفيروزبادي. يجتازها نهر "عظيم"، وتشرف عليها قلعة.

1. المرفأ والتجارة

لا يتكلّم العطيفي مطلقاً عن التجارة أو المرفأ، ولكّنه يذكر مرة واحدة عرضاً "المراكب" التي شاهدها وهو برفقة الشيخ محمد الصيداوي من مكان "رأس النهر"[14].

2. الزراعة

يستفيض الزائر في وصف البساتين وجمالها نثراً وشعراً. وهي تعطي أنواعاً كثيرة من الفواكه، لاسيما الحمضيات[15].

3. الحياة الفكرية والسياسية

تمتاز رحلة العطيفي بأنها تلقي ضوءاً على الناحية الأدبية والسياسية في المدينة. فقد إلتقى الرحالة عدداً من الأدباء، وتبارى معهم في قرض الشعر.

وزار الوالي في دارته، وهو الأمير علي سيفا، وقد خصص الحاكم كأسلافه مكاناً في بلاطه للأدباء والشعراء.

وإمتدح الرحالة حكم آل سيفا، وقارنهم مع البرامكة[16]. وغمز من قناة فخر الدين وخلافاته معهم، ونكبته على يد السردار أحمد كجك[17].

---

[13] النابلسي عبد الغني بن اسماعيل؛ العطيفي رمضان بن موسى، **رحلتان الى لبنان**، ص. 14، " دخلنا طرابلُس... فإذا هي بلدة لطيفة، ماؤها كثير ورزقها غزير، جميع بنائها بالحجر ليس فيه شيء من الخشب، حتى كادت ان تكون كلها قطعة واحدة، يشقها نهر عظيم، على حافتيه من الجانبين الجوامع والمدارس والقصور والشبابيك".

[14] النابلسي عبد الغني بن اسماعيل؛ العطيفي رمضان بن موسى، **رحلتان الى لبنان**، ص. 17.

[15] النابلسي عبد الغني بن اسماعيل؛ العطيفي رمضان بن موسى، **رحلتان الى لبنان**،.ص 15،

رأيت في أطرابلوس روضةً   مدت لنا من اطلسٍ شقائقا

ويفرط المُزنُ با إن حلّها   لآلئاً فتنبت العقائقا

[16] راجع عن آل سيفا مقالة SALIBI Kamal, “The Sayfas and the eyelet of Tripoli” in *Arabica*, XX, 1, 1973, p. 25-52; ومقالة الشيخ محمد خالد الزعبي، "آل سيفا بين الواقع والإتهام"، في المؤتمر الأول لتاريخ عكار. **عكار** في **التاريخ العثماني 1516-1918**، طرابلس، 1995، ص. 97-136.

وعدد أسماء الشيوخ الرسميين وبعض الأعيان. وتوقّف عند ذكر المساجد المهمة القائمة في المدينة.

أهملت رحلة العطيفي معطيات مهمة لجهة التجارة والسكّان، غير أنها أكّدت على هناء العيش في طرابلس وعلى البحبوحة التي كانت تتمتع فيها المدينة في النصف الأول من القرن السابع عشر[18]. وهكذا تتقاطع موضوعاته مع من سبقه من الرحالة، خصوصاً من تناولتهم هذه الدراسة.

أما بالنسبة للحركة السكانية، فتفتقر الرحلات الى معلومات احصائية أكيدة في هذه المرحلة. فالأب بيسون يقدر عدد سكان المدينة بحوالي خمس وعشرين الف نسمة غالبيتهم من المسلمين، يسكن بينهم حوالي الألف مسيحي[19]. تهيء هذه التقديرات الى المعلومات التي تعطيها سجلاّت المحكمة الشرعية في طرابلس في القرنين الثامن والتاسع عشر، والتي قد تناولتها دراسات قيمة[20].

ولسد الثغرات في المرحلة التي نعالجها، أي القرنين السادس والسابع عشر، لا بد من الرجوع إلى أنواع أخرى من المصادر، لا سيما إلى الحوليات، وعلى رأسها **تاريخ الأزمنة** للبطريرك إسطفانوس الدويهي[21].

ومهما بلغت أهمية نصوص الرحالة، فهي تبقى في سياق الروايات المتقطّعة، غير المتواصلة، والمتكررة أحياناً. لذلك تبدو صورة طرابلس من خلالها ناقصة غير مكتملة.

ولكنها ولو إفتقدت إلى الطرافة، فهي تؤكّد على وضع قائم في زمن معين. وتعوض عن فراغٍ ولّده غياب الأصول.

---

[17] وكان موندرل قد تبع العُطيفي وقابل والي طرابلس أيضاً وهو يدعوه أوستان Ostan. راجع MAUNDRELL Henry, *A Journey from Aleppo to Jerusalem, at Easter, A.D. 1697. Also, A Journal from Grand Cairo to Mount Sinai, and back again*, London, 1810, p. 35-38.

[18] وكان بومكارتن قد شدّد على غنى المدينة في بداية القرن السادس عشر. راجع BAUMGARTEN Martin, *The Travels of Martin Baumgarten, a Nobleman of Germany, through Egypt, Arabia, Palestine and Syria*, London, 1704, p. 485-486, "The People inhabiting the adjacent parts are likewise very rich, and this is owing to the situation of the place, because of its many navigable Rivers, whereby they have the conveniency of buying and trucking all sorts of Merchandise, and thereby enriching themselves".

[19] BESSON Joseph, *La Syrie et la Terre Sainte au XVIIème siècle*, Nouvelle édition, Poitiers-Paris, 1862, p.87 : « cette ville est composée de vingt ou vingt-cinq mille personnes, presque tous mahométans, à la réserve de mille chrétiens, dont environ sept cents Grecs et trois cents tant Maronites que Syriens, sans compter le petit nombre de Francs ».

[20] حبلص فاروق، "العلاقة بين النصارى واليهود في طرابلس وعلاقتهم بالمسلمين والسلطات العثمانية فيها في القرنين 17-18"، وسليمان حاتم، "الأقليات غير الإسلامية في طرابلس من خلال سجلاّت المحكمة الشرعية"، في **الأقليات والقوميات** في **السلطنة العثمانية بعد 1516**، منشورات الجمعية التاريخية اللبنانية، الفنار، 2001، ص. 405-437، و439-476.

[21] حبذا لو حفظت سجلاّت المحكمة الشرعية لهذه الحقبة.، ص 211 = مرجع لدى حرفوش عن مقتل الشيخ أبو كرم الحدثي.

- ملحق: خرائط للرحلات الثلاث.

1. رحلة دنديني
2. رحلة دارفيو
3. رحلة العطيفي

بيبليوغرافيا

1. النابلسي عبد الغني بن اسماعيل؛ العطيفي رمضان بن موسى، **رحلتان الى لبنان**، تحقيق صلاح الدين المنجد و اسطفان فيلد، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت، 21، بيروت، 1979.

2. **رحلة ابن بطّوطة**، دار صادر ودار بيروت، 1964.

3. **رحلة الأب إيرونيموس دنديني إلى لبنان سنة 1596**، عربا يوسف يزبك العمشيتي، مطبعة جريدة العلم، بيت شباب.

4. الأب إغناطيوس سعاده، م.ل، **لبنان** في **كتابات الرحالة، دروس ونصوص**، منشورات الرسل، 2008.

5. الزعبي محمد خالد (الشيخ)، "آل سيفا بين الواقع والإتهام"، في المؤتمر الأول لتاريخ عكار. **عكار** في **التاريخ العثماني 1516-1918**، طرابلس، 1995، ص. 97-136.

6. حبلص فاروق، "العلاقة بين النصارى واليهود في طرابلس وعلاقتهم بالمسلمين والسلطات العثمانية فيها في القرنين 17-18"، في **الأقليات والقوميات** في **السلطنة العثمانية بعد 1516**، منشورات الجمعية التاريخية اللبنانية، الفنار، 2001، ص. 405-437.

7. سليمان حاتم، "الأقليات غير الإسلامية في طرابلس من خلال سجلاّت المحكمة الشرعية"، في **الأقليات والقوميات** في **السلطنة العثمانية بعد 1516**، منشورات الجمعية التاريخية اللبنانية، الفنار، 2001، ص. 439-476.

8. D'ARVIEUX Laurent, *Mémoires*, Introduction de Antoine Abdelnour, Beyrouth, 1981.

9. BAUMGARTEN Martin, *The Travels of Martin Baumgarten, a Nobleman of Germany, through Egypt, Arabia, Palestine and Syria*, London, 1704.

10. BESSON Joseph, *La Syrie et la Terre Sainte au XVIIème siècle*, Nouvelle édition, Poitiers-Paris, 1862.

11. DANDINI Jérôme (P.), *Voyage du Mont-Liban*, traduit de l'italien par P. Richard Simon et suivi des remarques, édition revue et augmentée par P. Karam Rizk, *Sources de l'Histoire du Liban et du Proche-Orient* 2, Kaslik, Liban, 2005.

12. GIRARD Aurélien, « Voyage du Mont Liban », *Archives de sciences sociales des religions*, 142 (2008).

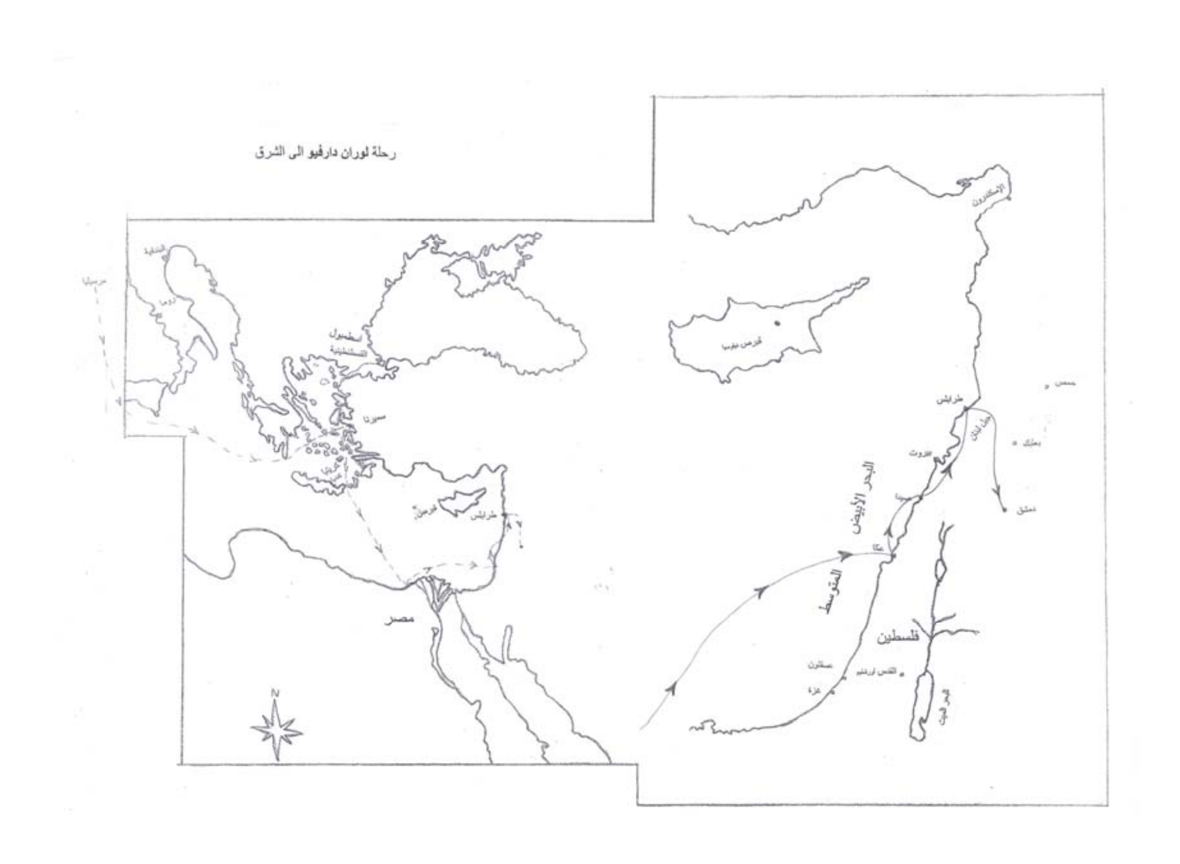
13. MAUNDRELL Henry, *A Journey from Aleppo to Jerusalem, at Easter, A.D. 1697. Also, A Journal form Grand Cairo to Mount Sinai, and back again*, London, 1810.

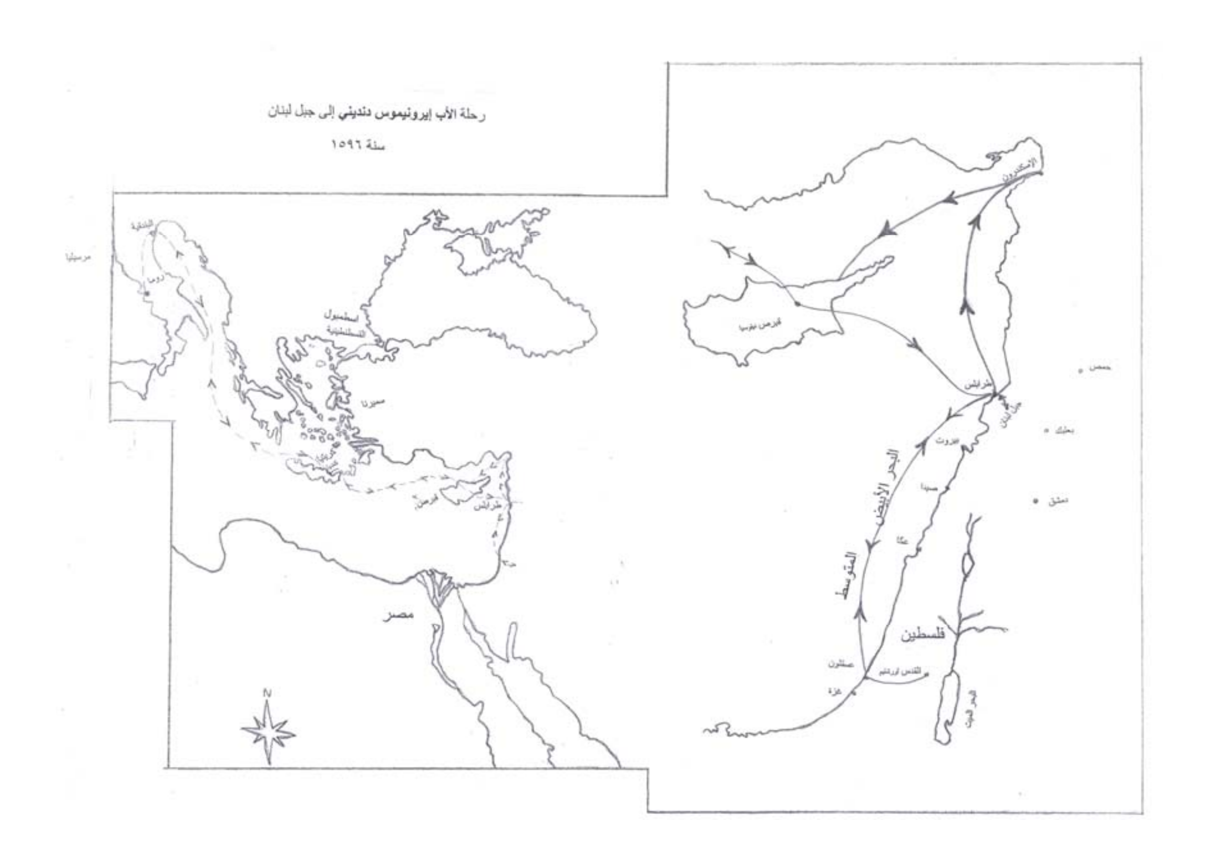
14. SALIBI Kamal, "The Sayfas and the eyelet of Tripoli" in *Arabica*, XX, 1, 1973, p. 25-52.

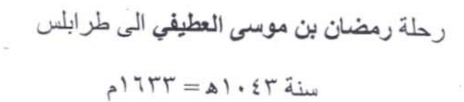
1. الرحالة

- AFFAGART Greffin, *Relation de Terre Sainte (1533-1534)*, publié et annoté par J. Chavanon, Librairie Victor Lecoffre, Paris, 1902.
- "Itinerario e peregrinaçao do muy reverendo Antonio Soares de Alberguaria monge professo do real mosteiro de Alcobaça". *Itinerario a Casa Sancta do Padre Frei Antonio Soares monge professo de Alcobaça*. Lisbona, Biblioteca Nacional, Code Alcobacences, N. 369, 336, f.
- ARANDA Antonio (DE), *Verdadera información de la Tierra Sancta… agora nuevamente en esta última impression muy corregida y emendada*, Alcalá, 1563.
- D'ARVIEUX Laurent, *Mémoires*, Introduction de Antoine Abdelnour, Beyrouth, 1981.
- AVEIRO Pantaleao (DE), *Itinerario de Terra Santa e suas particularidades*, 7ème édition, Coimbra, 1927.
- BAUMGARTEN Martin, *The Travels of Martin Baumgarten, a Nobleman of Germany, through Egypt, Arabia, Palestine and Syria*, London, 1704.
- BEAUVAU Henry (DE), *Relation journalière du voyage du Levant, faict et descrit par Messire Henry de Beauvau, Baron dudit lieu*, Tour, 1608. طُبع في دار النهار للنشر 2001، عن الطبعة الثانية للكتاب سنة 1615.
- BESSON Joseph (*p.j.*), *La Syrie et la Terre Sainte au XVIIème siècle*, Nouvelle édition, Poitiers-Paris, 1862.
- CARALI Paolo, *Il Libano nel 1643*, « Relazione del P. Tommazo Vitale da Monte Regale dominicano », in *S.I.E.M.*, Napoli, 1937. قرألي بولس، "لبنان في السنة 1643، نقلاً عن تقرير الأب فيتالي"، المجلة البطريركية، طرابلس، 1938، ص. 3-25، (أو عدد كانون الثاني 1935)
- CASTILLO Antonio (DEL), *El devoto peregrino, Viage de Tierra Sancta*, Madrid, 1654.
- CHESNEAU Jean, *Le Voyage de Monsieur d'Aramon, Ambassadeur pour le Roy en Levant, escrit par noble homme Jean Chesneau l'un des secrétaires dudict seigneur ambassadeur*, publié et annoté par Ch. Schefer, en 1887, reprint of the edition London 1887 in *The Islamic World in Foreign Travel Accounts*, 37, Institute for the History of Arabic-Islamic Science, Johann Wolfgang Goethe University, Frankfurt am Main, 1995.
- DANDINI Jérôme (P.), *Voyage du Mont-Liban*, traduit de l'italien par P. Richard Simon et suivit des remarques, édition revue et augmentée par P. Karam Rizk, *Sources de l'Histoire du Liban et du Proche-Orient* 2, Kaslik, Liban, 2005.

- GERRERO Francisco, *El viage de Hierusalem*, Sevilla, 1592; GERRERO Francisco, *Itinerario a Terra Santa*, Lisboa occidental, 1734.
- GOUJON Jacques, *Histoire et voyage de la Terre Sainte*, Lyon, 1671.
- LA CROIX François Pétis (DE), *La Turquie Chrétienne sous la puissante protection de Louis le Grand, protecteur unique du christianisme en Orient. Contenant l'état présent des Nations et des Eglises grecque, arménienne et maronite dans l'empire otoman. Par M. De La Croix, ci-devant Secrétaire de l'Ambassade de sa Majesté à la Porte*. Paris…1695. Avec privilège du Roi.
- LA ROQUE Jean (DE), *Voyage de Syrie et du Mont-Liban*, Introduction, notes et Index par Jean Raymond, Dar Lahd Khater, Beyrouth, 1981.
- MAGRI MALTESE Domenico, *Breve racconto del Viaggio al Monte Libano*, Roma, 1655. كميل افرام البستاني، **سرد مقتضب في رحلة الى جبل لبنان**، دار لحد خاطر، بيروت، 1985.
- MAUNDRELL Henry, *A Journey from Aleppo to Jerusalem, at Easter, A.D. 1697. Also, A Journal form Grand Cairo to Mount Sinai, and back again*, London, 1810.
- MEDINA Antonio (DE), OFM, *Tratado de los misterios de la Tierra Sancta*, Salamanca, Herederos de Juan de Canova, 1573.
- *Relation par Jean Carlier de Pinon, du voyage fait par lui dans le Levant, en la compagnie de Jean-Jacques Breuning (Février 1579 - 23 Janvier 1580)*, BN. Ms. 6092, Papier XVI, s.
- ST PIERRE Puget (DE), *Histoire des Druses, Peuple du Liban, formé par une colonie de François, avec des notes politiques et géographiques*, Cailleau, Paris, 1763.
- THEVENOT Jean (DE), *Relation d'un voyage fait au Levant*, Claude Barrin, Paris, 1664.
- VERA Juan Ceverio (de), *Viage de la Tierra Sancta*, Roma, 1596; Madrid, 1597.
- *Les voyages du seigneur de Villamont*, Rouen, 1608. Cité dans une note de Ch. Schefer dans son édition du libre de Chesneau Jean, *Le Voyage de Monsieur d'Aramon, Ambassadeur pour le Roy en Levant, escrit par noble homme Jean Chesneau l'un des secrétaires dudict seigneur ambassadeur*, 1887.
- النابلسي عبد الغني بن اسماعيل؛ العطيفي رمضان بن موسى، **رحلتان الى لبنان**، تحقيق صلاح الدين المنجد و اسطفان ڤيلد، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت، 21، بيروت، 1979، "رحلة الى طرابلس الشام"، ص. 13-21.
- **رحلة الأب ايرونيموس دنديني الى لبنان سنة 1596**، عرّبها يوسف يزبك العمشيتي، مطبعة جريدة العلم، بيت شباب، 1933.


رحلة لوران دارفيو الى الشرق
مصر
البحر الأبيض
المتوسط
فلسطين
طرابلس
دمشق
الإسكندرون


رحلة الأب إيرونيموس دنديني إلى جبل لبنان
سنة ١٥٩٦
مصر
البحر الأبيض
المتوسط
فلسطين
طرابلس
دمشق
غزة
عكا


رحلة رمضان بن موسى **العطيفي** الى طرابلس

سنة ١٠٤٣هـ = ١٦٣٣م

N
طرابلس
إهدن
البحر الأبيض المتوسط
عيناتا
جبل لبنان
بعلبك
بريتال
الزبداني
تقية الدورة
دمشق